المُتسوّلة

بصوت حزين ينمُّ عن حالة اليأس والكرب والفقر المُدقع، سألت خمسينية ركاب المترو منحها بعض المال للإنفاق على بناتها الثلاث، ودفع إيجار سكنها المتأخر عليها مدة ثلاثة أشهر، وكذلك علاج زوجها المحجوز في مستشفى «.....».

لم تكتفِ السيدة بتلك الكلمات، بل زادت عليها:

– يا جماعة، اللي مش مصدَّقني، ياخد يقرا الروشتات دي؛ علشان يعرف إني ما باكدبش، وان كنت باكذب عليكم ما اوعى أروح لبيتي وبناتي و«.....».

أمام كلماتها المؤلمة، وشرحها لحالتها «المهبِّبة»، منحها أغلب الركاب بعض النقود، كلٌّ حسب ما تيسر له.

أثناء مرور السيدة على الركاب، فجأة اتسعت عيناها، وتسمرت قدماها، وعُقِد لسانهان وكادت تلطم خديها بيديها، بعد أن سقطت منها وُرَيْقاتُها على الأرض، ولم تستطع فتح فمها بكلمة واحدة بعد ذلك.

أثارني جدًّا هذا الموقف، وظللت أتابع ما ستؤول إليه الأمور هذه بعد تلك الحالة.

نظرت مرة واثنتين، ثم نظرت مرة ثالثة بتركيز أكثر. تفحصت وجه السيدة، وإذا بها تنظر لإحدى الراكبات، كمن رأت شيطانًا رجيمًا!!.. وفي لمح البصر؛ أدارت وجهها باتجاه باب العربة؛ حتى تنزل في أول محطة يقف فيها المترو، لكن فشلت

محاولتها فشلاً ذريعًا، بعد أن أمسكت بها تلك الراكبة، التي اتضح فيما بعد، أنها ضابطة شرطة بمترو الأنفاق.

سألتها الضابطة بنوع من «القرف»:

- برضه انتي يا «.....» ما تُبْتيش؟!

بكت السيدة أمام الركاب، وحاولت أن تفلت من يد الضابطة، لكن دون فائدة.. وسألتها الضابطة مرة أخرى:

- كم محضر تسوُّل عملناهولك حتى الآن يا «.....».

السيدة تجيب بعد فشل توسُّلها ورجائها:

- كتير. بس والله غصب عني يا افندم. معلهش الله يخليهوملك و.....

ولأن الركاب كانوا في حالة تعاطف مع المتسولة، وفي حالة نقم وغضب من الضابطة؛ اضطرت الضابطة أن تشرح للركاب قصة المُتسَوِّلة، فقالت:

- يا جماعة، هذه السيدة «كذابة» في كل كلمة قالتها، فلا زوجها مريض، ولا عندها بنات و..... وباختصار شديد، تعودت على التسوُّل، تلبية لمزاجها، بعدما هربت من أهلها، وأدمنت المخدرات مع أهل السوء.

وكعادتنا دائمًا وأبدًا، حتى بعد كشف الحقائق أمامنا، انقسم الركاب إلى فريقين، الفريق الأول تعاطف مع المتسولة، وظل يرجو الضابطة أن تتركها وشأنها.

والفريق الثاني طالب الضابطة بالقبض عليها، وإعادتها إلى أهلها، حتى لو تم ذلك بالقوة، فامتثلت الضابطة لتطبيق القانون.. انتهى.